

أَبْحَثُ عَنْ صَدِيقٍ
تأليف: منال الغداني
رسم: مايا مجدلاني

أصالة
©حقوق النشر والتوزيع محفوظة
دار النهضة العربية
أصالة للنشر والتوزيع – طبعة أولى 2011
ISBN: 978-614-402-489-8
تلفون: 093 736 1 961+
فاكس: 071 736 1 961+
ص.ب.: 11/3434
الزيدانية، بناية كريدية – بيروت، لبنان
infos@asala-publishers.com

أَبْحَثُ عَنْ صَدِيقٍ

تأليف: منال الغداني

رسم: مايا مجدلاني

كُلَّ يَوْمٍ أَتَوَجَّهُ إلى مَوْقِفِ الحافِلَةِ، لَكِنْ لا أَحَدَ يَجْلِسُ بِقُرْبي أَوْ يُحادِثُني، وَعِنْدَما أَقْصِدُ الحَديقَةَ فلا أَحَدَ يَلْعَبُ معي بِالكُرَةِ... فَأَجْلِسُ عَلَى الأُرْجوحَةِ.. أُراقِبُ الأَطْفالَ وهم يَمْرَحونَ وَيَلْعَبونَ بِسَعادَةٍ.. ثُمَّ أَعودُ إلى المَنْزِلِ بائِساً، حتّى بَسْبوسُ، قِطُّنا الأَليفُ، لا يُحِبُّ أَنْ أَلْعَبَ مَعَهُ أَوْ أَنْ أَحْمِلَهُ، فما أَنْ يَراني حتّى يَفِرَّ هارِباً.. لِأَعودَ وَحيداً..





وَقَفْتُ أَمامَ المِرْآةِ.. أَنْظُرُ إلى وَجْهي.. وأَتَساءَلُ بِحَيْرَةٍ: تُرى أَيُّ جِزْءٍ في وَجْهي لا يُعْجِبُ الآخَرين؟ لماذا لا يُحِبُّني أَحَدٌ؟ هلْ لِأَنَّ شَعْري مُجَعّدٌ، وبَشَرَتي سَمْراءُ وَعَيْنَيَّ صَغيرتانِ وَأَنْفي.. أمم

سَقَطَتْ مِنْ عَيْنَيَّ دَمْعَةٌ، لم أَنْتَبِهْ خِلالَها إلى أُمّي الّتي كانَتْ تَقِفُ خَلْفي مُباشَرَةً، قالَتْ بَعْدَ أَنْ مَسَحَتْ بيدَيْها عَلى شَعْري: «لا تَحْتاجُ إلى النَّظَرِ في المِرْآةِ لِتَجْذِبَ الأَصْدِقاءَ... بلْ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَخْدِمَ حَواسَّكَ..»

قُلْتُ وَالدَّهْشَةُ تَمْلَؤُني: «وَكَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ؟»

- «لَدَيْكَ عَيْنانِ جَميلَتانِ.. وَفَمٌ صَغيرٌ باسِمٌ... وَلِسانٌ عَذْبٌ.. وأُذُنانِ تَسْمَعانِ بِدِقَّةٍ.. وَقَلبٌ مُرْهَفُ الإحْساسِ.. وأَنْفٌ يُحِبُّ العُطورَ؟»

فَقُلْتُ لها مُتَسائِلاً بِحَيْرَةٍ: «لَكِنَّني أَسْتَخْدِمُ كُلَّ تِلْكَ الحَواسِّ.. ولا زِلْتُ بِلا أَصْدِقاءٍ..!»

قالَتْ وَهِيَ تَبْتَسِمُ: «هُناكَ سِرٌّ، عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَهُ..»

- «وما هُوَ؟ أَخْبِريني..»

قالَتْ وَهِيَ تُشيرُ إلى فَمي بِإِصْبَعِها: «عِنْدَ مَوْقِفِ الحافِلَةِ، اِسْتَخْدِمْ فَمَكَ الصَّغيرَ لِتَرْسُمَ عَلَى وَجْهِكَ اِبْتِسامَةً جَميلَةً فَهذا سَيُعْجِبُ الأَصْدِقاءَ لِأَنَّ وَجْهَكَ سَيَبْدو مُشْرِقاً.. وَمُشِعّاً...»

«وفي الحَديقَةِ اِسْتَخْدِمْ عَيْنَيْكَ الجَميلَتَيْنِ، لِتَرْصُدَ الأَطْفالَ الذين يَنْظُرونَ إِلَيْكَ، فَهُمْ يَنْتَظِرونَ أَنْ تَدْعُوَهُمْ بِلِسانِكَ العَذْبِ.. لِيَلْعَبوا مَعَكَ بِالْكُرَةِ...»

نَظَرَتْ إلى بَسْبوس الّذي كانَ يَنامُ عَلَى الأَريكَةِ ثُمَّ قالَتْ: «وَبَسْبوسُ يُحِبُّ أَنْ تَمْسَحَ عَلَى شَعْرِهِ بِيَدَيْكَ النّاعِمَتَيْنِ.... وَتُدَغْدِغَهُ تَحْتَ ذَقْنِهِ بِخِفَّةٍ..»



ثُمَّ أَمْسَكَتْ بِزُجاجَةِ العِطْرِ المَوْضوعَةِ علَى الطّاوِلَةِ: «والأَنْفُ.. الكُلُّ يُحِبُّ أنْ يَجْلِسَ بِجِوارِ شَخْصٍ نَظيفِ المَلْبَسِ، طَيِّبِ الرّائِحَةِ..»

قُلْتُ مُتَحَمِّساً: «إنَّها أَشْياءُ سَهْلَةٌ..!»

هَمَسَتْ أُمّي بِأُذُني: «الأَصْدِقاءُ يُحِبّونَ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِمْ..»

- «لِذلِكَ لَدَيَّ أُذُنانِ.. وَفَمٌ واحِدٌ.. لِأَسْتَمِعَ أَكْثَرَ..؟»

ضَحِكَتْ والِدَتي وَهِيَ تَهُزُّ رَأْسَها، ثُمَّ قالَتْ: «هَلْ نَسينا شَيْئاً؟»

- «لا»

قالَتْ: «بَلْ نَسينا.. القَلْبَ المُرْهَفَ..»

- «وكَيْفَ يَجْذِبُ القَلْبُ الأصْدِقاءَ؟»

أَمْسَكَتْ أُمّي بِيَدي وَضَغَطَتْ عَلَيْها بِخِفَّةٍ، ثُمَّ قالَتْ: «بِالحُبِّ.. الحُبِّ الصّادِقِ..»

- «وما هو الحُبُّ الصّادِقُ؟»

قالَتْ: «أَنْ تُحِبَّ لِأَصْدِقائِكَ ما تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ..
والآنَ قِفْ أمامَ المِرْآةِ.. وتَأَمَّلْ نَفْسَكَ، فَلَدَيْكَ الكَثيرُ لِتَفْخَرَ بِهِ.»


غادَرَتْ أُمّي الغُرْفَةَ، وَظَلَّتْ كَلِماتُها تَتَرَدَّدُ في
أُذُنيَّ طَوالَ ذلِكَ المَساءِ، تُرى هَلْ سَأَتَمَكَّنُ
مِنَ التَّعَرُّفِ على صَديقٍ جَديدٍ، وَأَدْعُوهُ
لِلَّعِبِ مَعي..؟

اِسْتَيْقَظْتُ في الصَّباحِ الباكِرِ نَشيطاً وَمُتَحَمِّساً، غَسَلْتُ وَجْهي بالماءِ الدّافِئِ، وَنَظَّفْتُ أَسْناني بِالفُرْشاةِ والمَعْجونِ، ثُمَّ وَقَفْتُ أَمامَ المِرْآةِ أُمَشِّطُ شَعْري، فَكَّرْتُ قَليلاً... ماذا لَوْ غَيَّرْتُ شَكْلَ هَذِهِ الخُصْلاتِ المُتَناثِرَةِ، لا.. لا.. عَلَيَّ أَنْ أَبْدُوَ طَبيعِيّاً.. لَنْ أَجْذِبَ الأَصْدِقاءَ بِتَسْريحَةٍ غَريبَةٍ... رَشَشْتُ عِطْرِيَ المُفَضَّلَ، وَجَلَسْتُ على المائِدَةِ، تَناوَلْتُ طَعامي بِسُرْعَةٍ ثُمَّ قُلْتُ:

«أنا مُسْتَعِدٌّ الآنَ..»

- «رائِحَتُكَ زَكِيَّةٌ..»

- «شُكْراً أُمّي.. هلْ أَبْدو جَميلاً..»

- «بَلْ أَنْتَ رائِعٌ.. فَحواسُّكَ تَعْمَلُ جَيِّداً اليَوْمَ...»



ضَحِكْنا مَعاً، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أَنَّ الوَقْتَ يَمُرُّ سَريعاً، وَلَدَيَّ مُهِمَّةٌ تَنْتَظِرُني. وَصَلْتُ إلى مَوْقِفِ الحافِلَةِ في الوَقْتِ المُناسِبِ، وَقَفْتُ قَريباً أَنْظُرُ إلى القادمينَ بِعَيْنَيَّ الفاحِصَتَيْنِ، كُنْتُ مُسْتَعِدّاً لِلْبَدْءِ، نَعَمْ، هُناكَ شَيْءٌ مُخْتَلِفٌ اليَوْمَ، لِأَنَّني كُنْتُ أَبْتَسِمُ.. وَكُلُّ مَنْ حَوْلِي مِنَ الأَطْفالِ يَبْتَسِمونَ.. إِنَّهُمْ يَفْعلونَ ذلِكَ كُلَّ يَوْمٍ.. لَكِنَّني أَفْعَلُها لِلْمَرَّةِ الأولى.. إِبْتِسامَةٌ كَبيرَةٌ...



ثُمَّ فَجْأَةً.. اِنْزَلَقَتْ مِنْ يَدي الكُرَةُ... وَتَدَحْرَجَتْ بَعيداً، راقَبْتُها وَهِيَ تَنْحَشِرُ بَيْنَ أَقْدامِ الأَطْفالِ المُنْشَغلينَ بِالحَديثِ وَالضَّحِك.. فَشَعَرْتُ بِخَجَلٍ شَديدٍ... كَيْفَ سَيَكونُ مَظْهَري وَأَنا أَخْتَرِقُ الأَقْدامَ لِأَلْتَقِطَ الكُرَةَ..؟

أَسْرَعْتُ بِالتَّقَدُّمِ بِضْعَ خُطُواتٍ مُحاوِلاً إِلْتِقاطَها، لَكِنَّني لم أَعُدْ أَراها، أَدَرْتُ وَجْهي في كُلِّ اتِّجاهٍ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَضيعَ!

لم تَمْضِ دَقائِقُ وأنا أُحَدِّقُ تَحْتَ الأَقْدامِ وفي كُلِّ زاوِيَةٍ قَريبَةٍ، حتّى شَعَرْتُ بِيَدٍ تُرَبِّتُ عَلَى كَتِفي بِلُطْفٍ: «عَفْوا لَقَدْ أَوْقَعْتَ الكُرَةَ...»

- «شُكْراً..»

- «على الرُّحْبِ والسَّعَةِ..»

الفَمُ الصَّغيرُ... واللِّسانُ العَذْبُ، والأُذُنانِ اللّتانِ تَنْصِتانِ.. واليَدانِ النّاعِمَتانِ.. والقَلْبُ المُرْهَفُ.. حاوَلْتُ أَنْ أَجِدَ العباراتِ المُناسِبَةَ لِأَقولَها، فَلَمْ أَجِدْ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُعَرِّفَهُ بِاسْمي، نَظَرْتُ في عَيْنَيْه، ثُمَّ قُلْتُ: «أَنا اِسْمي حَمَدُ..»

- «وأنا خالِدٌ..»

مَدَدْتُ يَدي لِمُصافَحَتِهِ فَمَدَّ يَدَهُ بِالمُقابِلِ، كانَ خالدٌ خِلالَها لا يَزالُ واقِفاً إِلى جانِبي مُبْتَسِمَ الوَجْهِ، وأنا كُنْتُ أَبْتَسِمُ أَيْضاً، قُلْتُ لَهُ: «هَلْ تُحِبُّ أَنْ تَلْعَبَ مَعي اليَوْمَ كُرَةَ القَدَمِ في حَديقَةِ المَدْرَسَةِ؟»

«نَعَم، بِالطَّبْعِ فَأَنا أَعْشَقُ كُرَةَ القَدَمِ.. هل تَعْرِفُ؟ لَدَيَّ بِطاقاتٌ كَثيرَةٌ لِلاعِبينَ مَشْهورينَ أَضَعُها في الأَلْبوم... إِنَّهُ..»



لَمْ يَتَوَقَّفْ خالِدٌ عَنِ الحَديثِ بَعْدَ ذلك السُّؤالِ، واسْتَغْرَقَ الحَديثُ بَيْنَنا وَقْتاً طَويلاً بَعْدَ أَنْ جَلَسْنا قُرْبَ بَعْضِنا في الحافِلَة، اِسْتَمَعْتُ بِاهْتِمام لأَنَّ الأَصْدِقاءَ يَنْصِتونَ لِبَعْضِهِمْ، وما ساعَدَني على ذلك أَنَّنا نَمْلِكُ الهِواياتِ نَفْسَها، جمْعُ بِطاقاتِ الفِرَقِ واللّاعبينَ وَتَنْظيمُها في أَلَبوم خاصٍّ.. كم بَدا عَلَيْهِ الذُّهولُ عِنْدَما عَرَضْتُ عَلَيْهِ بطاقَةَ الحارِسِ الذَّهَبِيَّةَ لِفَريقِهِ المُفَضَّل.. لقد كانَ يَحْلُمُ بِالعُثورِ على واحِدَةٍ.. بَيْنَما كُنْتُ أَمْلِكُ اِثْنَتَيْنِ مِنْها.. فَقَرَّرْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ إِحْداهما.. نَعَمْ، لَدَيَّ قَلْبٌ مُرْهَفٌ، يُحِبُّ لِلْأَصْدِقاءِ ما يُحِبُّهُ لِنَفْسِه.

ظَلَّ يَتَفَحَّصُها مِراراً كَأَنَّهُ يَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّهُ أَصْبَحَ يَمْلِكُها حَقّاً، ثُمَّ أَسْرَعَ بِمَدِّ يَدِهِ في جَيْبِهِ، وأَخْرَجَ عُلْبَةً تَحْتَوي على بِطاقاتٍ.. يا لِلصُّدْفَةِ!! إِنَّهُ فَريقي المُفَضَّلُ.. أَخَذَ يُقَلِّبُ الأَوْراقَ بِسُرْعَةٍ، ثم أَعْطاني بِطاقَةَ كابْتِنِ الفَريقِ.. إِنَّها البِطاقَةُ الأَهَمُّ في



الفَريق، أَهْداني إيّاها دونَ تَرَدُّدٍ بالرَّغمِ من أَنَّهُ لم يَكُنْ يَمْلكُ غَيْرَها.. كُنْتُ أَتساءَلُ وأنا أَتَأَمَّلُ البِطاقَةَ تارَةً، ثُمَّ وَجْهَ خالدٍ وَهُوَ مُنْشَغِلٌ بِأَوْراقِهِ تارَةً أُخْرى (تُرى.. هَلْ كُنْتُ سَأُعْطيهِ البِطاقَةَ إن كُنْتُ لا أَمْلِكُ غَيْرَها؟) أَدْرَكْتُ حينَها أَنَّهُ صَديقٌ رائِعٌ.. وَيَسْتَحِقُّ الصُّحْبَةَ...

كانَ اللَّعِبُ في حَديقَةِ المَدْرَسَةِ أَكْثَرَ مُتْعَةً مَعَ خالِدٍ، خاصَّةً بَعْدَ انْضِمامِ العَديدِ مِنَ الأَطْفالِ.. الّذينَ كانوا يَقِفونَ لِلتَّفَرُّجِ عَلَيْنا أَحْياناً، أو يَطْلُبونَ اللَّعِبَ أَحْياناً أُخْرى، كُنّا نَسْمَحُ لَهُمْ بِمُشارَكَتِنا.. لِأَنَّنا بِحاجَةٍ إلى تَكْوينِ فَريقٍ يَتَكَوَّنُ مِنْ مُهاجِمينَ وَمُدافِعين، بالإضافَةِ إلى حارِسِ المَرْمى..



عُدْتُ إلى المَنْزِلِ لأَجِدَ بَسْبوسَ في اسْتِقْبالي، كانَ مِنَ الغَريبِ أَنْ لا يَفِرَّ هارِباً.. رُبَّما شَعَرَ بِالتَّغْييرِ الّذي طَرَأَ عَلى وَجْهي الّذي كانَ يَشِعُّ بِالْفَرَحِ، فَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ دائِماً أَنَّ الحَيواناتِ تَشْعُرُ بِمَنْ يُكِنُّ لهَا الحُبَّ والاهْتِمامَ.. مَسَحْتُ عَلى شَعْرِهِ النّاعِمِ الأَمْلَسِ وَأَخَذْتُ أُدَغْدِغُهُ تَحْتَ ذَقْنِهِ، لِأَنَّني لم أَكُنْ أَفْعَلُ ذلِكَ سابِقا، كانَ صَوْتُهُ يَنِمُّ عنِ السُّرورِ والرِّضا، وَضَعْتُ لَهُ بَعْضَ الطَّعامِ في إنائِهِ الخاصِّ، فَأَخَذَ يَدورُ حَوْلي وَيَمْسَحُ بِجَسَدِهِ على يَدَيَّ.. كَأَنَّهُ يَشْكُرُني بِطَريقَتِهِ، انْصَرَفْتُ إلى غُرْفَتي، وَسَقَطْتُ على السَّريرِ وأَنا أَسْتَرْجِعُ أَحْداثَ اليَوْمِ الشّائِقِ التي مَرَرْتُ بِها..

على مائِدَةِ الطَّعامِ تَبادَلْتُ معَ والِدَتي أَحْداثَ اليَوْمِ، كانَتْ تَنْظُرُ في عَيْنَيَّ مُباشَرَةً، ثم قالَتْ: «عَيْناكِ تَلْمعانِ بِشِدَّةٍ..»

كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْها دائِما أَنَّ لِلْعُيونِ لَمَعاناً وَبريقاً، واليَوْمَ أَخْبَرَتْني أَنَّها وَجَدَتِ البَريقَ الّذي كانَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ دائِما في عَيْنَيَّ، فَقُلْتُ لها: «تَلْمَعُ كَالنُّجومِ؟»

- «بَلْ أَشَدَّ..»
- «وهَلْ تَلْمَعُ كُلُّ العُيونِ مِثْلَ عَيْنَيَّ؟»
- «لا.. العُيونُ السَّعيدَةُ هِيَ الّتي تَلْمَعُ بِشِدَّةٍ..»
- «ولِماذا هِيَ سَعيدَةٌ؟»

- «هُناكَ الكَثيرُ مِنَ الأَشْياءِ الّتي تَجْعَلُنا سُعداءَ في الحَياةِ، مِنْها كَسْبُ صَديقٍ جَديد..»

هُناكَ ظَلَلْتُ أَتَأَمَّلُ عَيْنَيَّ اللامِعَتَيْنِ في مِرْآةٍ مُعَلَّقَةٍ على جِدارِ مَنْزِلِنا، أَدْرَكْتُ حِينَهَا أَنَّ الصَّداقَةَ لا يُمْكِنُ أَنْ تُعْطى لنا، بل عَلَيْنا أن نَكْتَسِبَها بِأَنْفُسِنا، وَنَبْذُلَ جُهْداً لِلْمُحافَظَةِ عَلَيْها.

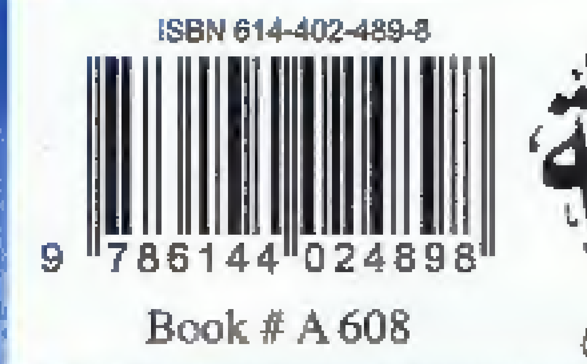
والآنَ لم أَعُدْ وَحيداً.. لِأَنَّ الحَقيقَةَ هِيَ، أَنْ لا أَحَدَ كانَ يَكْرَهُني..! بل الحَقيقَةُ هي أَنَّ حَواسِّي لَمْ تَكُنْ تَعْمَلُ جَيِّدَاً حينَها..





وَقَفْتُ أَمامَ المِرْآةِ.. أَنْظُرُ إلى وَجْهي.. وأَتَساءَلُ بِحَيْرَةٍ:
تُرى أَيُّ جِزْءٍ في وَجْهي لا يُعْجِبُ الآخَرين؟ لماذا لا يُحِبُّني أَحَدٌ؟
هلْ لِأَنَّ شَعْري مُجَعّدٌ، وبَشَرَتي سَمْراءُ وَعَيْنَيَّ صَغيرتانِ وَأَنْفي.. أمم




ISBN 614-402-489-8
9 786144 024898
Book # A 608

